http://nidaulhind.blogspot.in

الهند كما وصفها القزوينى

السيد محمود حسن فيصر الامروهوى

تعد الهند من الممالك التى لها قدم راسخ فى الثقافة والحضارة، كما اعترف لها بالحكمة واقر لها بالتبرز فى فنون المعارف فى القرون الخالية. وكان أهلها فى جميع العصور معدن الحكمة ومنبع الفلسفة وكان لهم يد طولى فى الطب والنجوم والحساب والالهيات.

لاشك ان علماء التاريخ فى العرب ورحالهم كانوا ينظرون إليهم نظرة اعجاب وتقدير وجاسوا الديار للمعلومات التجارية والخوض فى عوائد الامم وسياستها ومعارفها فما وسعهم أن يغضوا النظر عن الهند أرض العجائب والنوادر، أرض الحكمة والفلسفة، تجولوا فى أنحائها وشغفوابها أى شغف، وقيدوا ما شاهدوا وعثروا من المعلومات فى العقائد والنظام والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والنجوم والحساب ونظام الترقيم فنقلوا عنها إلى العرب كنوزاً وكشفوا كثيراً من المسائل وعرفوا كثيرا من المناطق التى لا تتحدث عنها المصادر الهندية، فهم من هذه الناحية جديرون بالشكر والاكبار.

فى ايامنا هذا نشرت دار المصنفين فى اعظم كره بالهند كتاباً فى اللغة الاردوية، «هندوستان عربوں کی نظر میں» (الهند عند العرب) جمعت فيه اقتباسات لرحال العرب ومؤرخيهم وادبائهم عن الهند من المصادر شتى. المؤلف لم يأل جهدا فى جمع ما وصلت إليه يده ولكنه بقى شئ كثير عن الهند فى بعض الكتب التاريخية لم يتمكن المولف من العثور عليه.

http://nidaulhind.blogspot.in

فهذه الشذرات هى تكملة لهذا الكتاب وهى مساهمة متواضعة فى وصف الهندية قد اقتبستها من كتاب «آثار البلاد واخبار العباد» لزكريا بن محمد بن محمود القزوينى سنة ٦٠٥-٦٨٣ هـ (١٢٠٣-١٢٨٣ م) فان له شخصية بارزة. فى العلوم ينتهى نسبه إلى فقيه المدينة مالك بن أنس، ولد فى القزوين فانتسب إليه وسافر فى ريعان شبابه من قزوين إلى دمشق فسطع نجمه، ولى قضاء الواسط والحلة فى عهد المستعصم العباسى ويعد من أئمة الفن فى التاريخ والجغرافيا وكتابه عجائب البلدان كتاب طريف، له قيمة كبيرة فى هذا الموضوع، فقد اودع فيه العلوم الطبيعية والسياسية والتاريخية والادبية، وجل تصانيفه من الجغرافيا واحوال الكون وكتابه «آثار البلاد» لا يقل قيمة من كتابه (عجائب المخلوقات) كما قال هو نفسه فى مقدمة الكتاب:

> «إنى جمعت فى هذا الكتاب ما وقع لى وعرفته وسمعت به وشاهدته من لطائف صنع الله تعالى وعجائب حكمته المودعة فى بلاده وعباده».

فقد ذكر فى أول الكتاب عن الحاجة الماسة إلى تعمير المدن والقرى وكتب بعده ما اطلع عليه من احوال مدن العرب والفرس والروم وتاريخ بنائها يذكر المؤرخ وفى هذه الابحاث ما يتعلق عن جغرافيا البلاد من حيث المناخ والطبيعة.

واما ما كتب عن الهند فان بعضها من نوادر هذا الكتاب لاتوجد فى المصادر الاخرى فقد نقل عن مسعر بن مهلهل روايات لم نجدها إلى الآن فى مصدر آخر وقد نسب إليه كتاب (عجائب البلدان) ولكننا لم نجد ذكره فى كتب المراجع.

http://nidaulhind.blogspot.in

جزيرة الرامنى

فى بحر الصين ؛ قال محمد بن زكرياء الرازى : بها ناس عراة لا يفهم كلامهم لأنه مثل الصفير ، طول أحدهم أربعة أشبار ، شعورهم زغب أحمر ، يتسلقون على الأشجار وبها الكركدن وجواميس لا أذناب لها ، وبها من الجواهر والأفاويه ما لا يحصى ، وبها شجر الكافور والخيزران والبقم وعروق هذا البقم دواء من سم الافاعى ، وحمله شبه الخرنوب وطعمه طعم العلقم .

قال ابن الفقيه : بها ناس عراة رجال ونساء على أبدانهم شعور تغطى سوآتهم ، وهم أمة لا يحصى عددها ، ماكولهم ثمار الأشجار ، واذا اجتاز بهم شئ من المراكب يأتونه بالسباحة مثل هبوب الريح ، وفى أفواههم عنبر يبيعونه بالحديد . (ص ۲۹-۳۰)

سرنديب

جزيرة فى بحر هركند بأقصى بلاد الصين ؛ قال محمد بن زكرياء . «هى ثمانون فرسخا فى ثمانين فرسخا» لها ثلاثة ملوك كل واحد عاص على الآخر . ومن عاداتهم أن يأخذوا من الجانى سبعة دراهم على جنايته ، والمديون إذا تقاعد عن اداء الدين بعث الملك إليه من يخط حوله خطا أى مكان وجده ، فلا يجسر أن يخرج من الخط حتى يقضى الدين أو يحصل رضاء الغريم . فان خرج من الخط بغير إذن ، أخذ الملك منه ثلاثة أضعاف الدين ، ويسلم ثلثه إلى المستحق ويأخذ الملك ثلثيه .

وإذا مات الملك يجعل فى صندوق من العود والصندل ويحرق بالنار ، وترافقه زوجته حتى يحترقا معاً .

http://nidaulhind.blogspot.in

وبها أنواع العطر والأفاويه والعود والنارجيل ودابة المسك، وأنواع اليواقيت ومعادن الذهب والفضة ومغاص اللؤلؤ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير بقعة ضربت إليها آباط الابل مكة ومسجدى هذا والمسجد الاقصى، وجزيرة سرنديب فيها نزل أبونا آدم عليه السلام، بها جبل أهبط عليه آدم عليه السلام، وهو ذاهب فى السماء، يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه السلام، وهى قدم واحدة مغموسة فى الحجر. ويرى على هذا الجبل كل ليلة مثل البرق من غير سحاب وغيم ولابد له كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام.

ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال يحدره السيل منها إلى الحضيض وقطاع الماس ايضاً والبلور. قالوا: أكثر أهل سرنديب مجوس وبها مسلمون ايضاً، ودوابها فى غاية الحسن لا تشبه دوابنا إلا بالنوع، وبها كبش له عشرة قرون.

منها الشيخ الظريف سديد الدين السرنديبى، ورد قزوين وأهل قزوين تبركوا به. وكان قاضى قزوين يدخل مع الولاة فى الأمور الديوانية والعوام يكرهون ذلك، فربما عملوا غوغاة ونهبوا دار القاضى وخربوها، فلما سكن السرنديبى قزوين وتبرك القوم به، كلما كرهوا من القاضى شيئا ذهبوا إلى السرنديبى وقالوا: قم ساعدنا على القاضى! فاذا خرج السرنديبى تبعه ألوف، فالقاضى لقى من السرنديبى التباريح.

فطلبه ذات يوم، فلما دخل عليه تحرك له وانبسط معه وسأله عن حاله ثم قال: إنى أرى فى هذه المدينة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

http://nidaulhind.blogspot.in

متروكا، ولست أرى من لايأخذه فى الله لومة لائم غيرك. وأخرج من داره قميصاً غسل مراراً وعمامة عتيقة، وأركبه على دابة وغلمان الاحتساب فى خدمته، وكل من سمع بهذا استحسن وصار السرنديبى محتسباً.

فاذا فى بعض الأيام جاء شخص إلى السرنديبى وقال: فى موضع كذا جماعة يشربون فقام بأصحابه وذهب إليهم فأراق خمورهم وكسر ملاهيهم. وكان القوم صبيانا جهالا قاموا إليه وضربوه وضربوا أصحابه ضرباً وجيعاً، فجاء السرنديبى إلى القاضى وعرفه ذلك، فالقاضى غضب وحولق وقال: ابصروا من كانوا أولئك، فقالوا: مانعرف منهم أحداً.

ثم بعد أيام قالوا للسرنديبى: فى بستان كذا جماعة يشربون، فذهب إليهم بأصحابه وأراق خمورهم وكسر ملاهيهم، فقاموا وقتلوا أصحاب السرنديبى وجرحوه، فعاد السرنديبى إلى بيته وأخذ القميص والعمامة وذهب إلى القاضى وقال: اخلع هذا على غيرى فانى لست أهلا لذلك، فقال القاضى: لاتفعل يا سديد الدين ولاتمنع الثواب! فقال له: دع هذا الكلام، أنت غرضك إنى أقتل وأجرح على يد غيرك، وإنى قد عرفت المقصود ولا أنخدع بعد ذلك. (ص ٤٢-٤٤)

كله

بلدة بأرض الهند فى منتصف الطريق بين عمان والصين، موقعها فى المعمورة فى وسط خط الاستواء، وإذا كان منتصف النهار لايبقى لشئ من الأشخاص ظل البتة. (ص ٥٩)

http://nidaulhind.blogspot.in

ارام

مدينة بأرض الهند، فيها هيكل فيه صنم مضطجع، يسمع منه فى بعض الاوقات صفير فيرى قائماً. فاذا فعل ذلك كان دليلا على الرخص والخصب فى تلك السنة، وإن لم يفعل يدل على الجدب، والناس يمتارون من المواضع البعيدة، ذكره صاحب تحفة الغرائب. (ص ٧٧)

جاجلى

مدينة بأرض الهند حصينة جداً، على رأس جبل مشرف نصفها على البحر ونصفها على البر. قالوا: ما امتنع على الاسكندر من بلاد الهند إلا هذه المدينة.

قال مسعر بن مهلهل: أهل هذه المدينة كلها من الكواكب، يعظمون قلب الأسد، ولهم بيت رصد وحساب ومعرفة بعلم النجوم. وعمل الوهم فى طباعهم إذا ارادوا حدوث حادث صرفوا همتهم إليه، وما زالوا به حتى حدث.

حكى إن بعض ملوكهم بعث إلى بعض الاكاسرة هدايا فيها صندوقان مقفلان، فلما فتحوهما كان فى كل صندوق رجل، قيل: من أنتما؟ قالا: نحن إذا أردنا شيئا صرفنا همتنا إليه فيكون. فاستنكروا ذلك، فقالا: اذا كان للملك عدو لايندفع بالسيف فنحن نصرف همتنا إليه فيموت! فقالوا لهما: إصرفا همتكما إلى موتكما. قالا: اغلقوا علينا الباب. فأغلقوا ثم عادوا اليهما فوجدوهما ميتين، فندموا على ذلك وعلموا ان قولهما صحيح.

وبهذه المدينة شجرة الدارصينى وهى شجر حر لا مالك له.

http://nidaulhind.blogspot.in

وأهل هذه المدينة لايذبحون الحيوان ولا يأكلون السمك وما كولهم البر والبيض. (ص ٨٠-٨١)

جزيرة جابه

جزيرة فى بحر الهند، فيها قوم شقر وجوههم على صدورهم. وبها جبل عليه نار عظيمة بالليل ودخان عظيم بالنهار، ولايقدر أحد على الدنو منه، وبها العود والنارجيل والموز وقصب السكر. (ص ٨٢)

جزيرة السلامط

جزيرة فى بحر الهند، يجلب منها الصندل والسنبل والكافور. وبها مدن وقرى وزروع وثمار، وفى بحرها سمكة إذا أدركت ثمار أشجار هذه الجزيرة تصعد السمكة اشجارها وتمص ثمارها ثم تسقط كالسكران، فيأتى الناس يأخذونها.

وحكى صاحب تحفة الغرائب: ان بهذه الجزيرة عينا فوارة يفور الماء منها وينزل فى ثقبة بقربها، فما يبقى من الرشاشات على اطرافها ينعقد حجرا صلداً، فما كان من الرشاشات فى اليوم يصير حجرا أبيض وما كان فى الليل يصير حجرا اسود. (ص ٨٣)

السند

ناحية بين الهند وكرمان وسجستان؛ قالوا: السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام.

بها بيت الذهب؛ قال مسعر بن مهلهل: مشيت إلى بيت الذهب المشهور بها فاذا هو من ذهب فى صحراء، يكون أربعة فراسخ لايقع عليها ثلج ويثلج ما حولها، وفى هذا البيت ترصد الكواكب، وهو بيت تعظمه

http://nidaulhind.blogspot.in

الهند والمجوس، وهذه الصحراء تعرف بصحراء زردشت نبي المجوس، ويقول اهل تلك الناحية: متى يخرج منه إنسان يطلب دولة لم يغلب ولا يهزم له عسكر حيث أراد. وحكى إن الاسكندر لما فتح تلك البلاد ودخل هذا البيت أعجبه، فكتب إلى ارسطاطاليس وأطنب فى وصف قبة هذا البيت فأجابه ارسطو: إنى رأيتك تتعجب من قبة عملها الآدميون، وتدع التعجب من هذه القبة المرفوعة فوقك، وما زينت به من الكواكب وانوار الليل والنهار.

وسأل عثمان بن عفان عبدالله بن عامر عن السند فقال: ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل! إن قل الجيش بها ضاعوا وإن كثروا جاعوا! فترك عثمان غزوها.

وبها نهر مهران، وهو نهر عرضه كعرض دجلة أو أكثر يقبل من المشرق آخذاً إلى الجنوب متوجهاً نحو المغرب، ويقع فى بحر فارس أسفل السند، قال الاصطخرى: نهر مهران يخرج من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، ثم يظهر بناحية ملتان على حد سمندور، ثم على المنصورة ثم يقع فى البحر شرقى الديبل، وهو نهر كبير عذب جداً وان فيه تماسيح كما فى نيل مصر، وقيل: ان تماسيح نهر السند أصغر حجما وأقل فسادا. وجرى نهر السند كجرى نهر النيل، يرتفع على وجه الأرض ثم ينصب، فيزرع عليه كما يزرع بأرض مصر على النيل.

(ص ٩٤-٩٥)

سومناة

بلدة مشهورة من بلاد الهند على ساحل البحر بحيث تغلب أمواجه. كان من عجائبها هيكل فيه صنم اسمه سومناة، وكان الصنم واقفاً

http://nidaulhind.blogspot.in

فى وسط هذا البيت لابقائمة من أسفله تدعمه ، ولابعلاقة من أعلاه تمسكه ، وكان أمر هذا الصنم عظيما عند الهند ، من رآه واقفاً فى الهواء تعجب ، مسلماً كان او كافراً ، وكانت الهند يحجون إليه كل ليلة خسوف ، ويجتمع عنده ما يزيد على مأئة الف انسان ، وتزعم الهند ان الأرواح إذا فارقت الاجساد اجتمعت إليه وهو ينشئها فى من شاء ، كما هو مذهب أهل التناسخ ، وان المد الجزر عبادة البحر له . وكانوا يحملون إليه من الهدايا كل شئ نفيس ، وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية .

ولهم نهر يعظمونه ، بينه وبين سومناة مائتا فرسخ ، يحمل ماؤها إلى سومناة كل يوم ويغسل به البيت ، وكانت سدنته الف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود ، وخمسمأئة أمة يغنين ويرقصن على باب الصنم ، وكل هولاء كانت أرزاقهم من أوقاف الصنم ، واما البيت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص ، وكانت قبة الصنم مظلمة وضوءها كان من قناديل الجوهر الفائق ، وعنده سلسلة ذهب وزنها مائة من ، كلما مضت طائفة من الليل حركت السلسلة فتصوت الأجراس فتقوم طائفة من البراهمة للعبادة .

حكى ان السلطان يمين الدولة ، محمود بن سبكتكين ، لما غزا بلاد الهند سعى سعيا بليغا فى فتح سومناة وتخريبها ، طمعا بدخول الهند فى الاسلام ، فوصل إليها منتصف ذى القعدة سنة ست عشرة وأربعمائة ، فقاتل الهنود عليها أشد القتال ، وكان الهند يدخلون على سومناة ويبكون ويتضرعون ، ثم يخرجون إلى القتال فقوتلوا حتى استوعبهم الفناء ، وزاد عدد القتلى على خمسين الفا ، فرأى السلطان ذلك الصنم وأعجبه أمره وأمر بنهب سلبه وأخذ خزانته فوجدوا اصناماً كثيرة من الذهب والفضة وستورا

http://nidaulhind.blogspot.in

مرصعة بالجواهر، كل واحد منها بعث عظيم من عظماء الهند. وكانت قيمته ما فى بيوت الأصنام أكثر من عشرين الف دينار.

ثم قال السلطان لأصحابه: ماذا تقولون فى أمر هذا الصنم ووقوفه فى الهواء بلا عماد وعلاقة؟ فقال بعضهم: إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر، فأمر السلطان شخصاً أن يذهب إليه برمح ويدور به حول الصنم وأعلاه وأسفله، ففعل وما منع الرمح شئ. وقال بعض الحاضرين: إنى اظن ان القبة من حجر المغناطيس، والصنم من الحديد، والصانع بالغ فى تدقيق صنعته، وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب، بحيث لاتزيد قوة جانب على الجانب الآخر، فوقف الصنم فى الوسط، فوافقه قوم وخالفه آخرون. فقال للسلطان: ائذن لى برفع حجرين من رأس القبة ليظهر ذلك، فاذن له فلما رفع حجرين اعوج الصنم ومال إلى أحد الجوانب، فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض.

(ص ٩٥-٩٧)

صنف

موضع بالهند او الصين ينسب إليه العود الصنفى، وهو أردأ أصناف العود، ليس بينه وبين الحطب إلا فرق يسير. (ص ٩٧)

صيمور

مدينة بأرض الهند قريبة بناحية السند لاهلها حظ وافر فى الجمال والملاحة لكونهم متولدين من الترك والهند، وهم مسلمون ونصارى ويهود ومجوس ويخرج إليها تجارات الترك وينسب إليها العود الصيمورى.

http://nidaulhind.blogspot.in

بها بيت الصيمور ، وهو هيكل على رأس عقبة عظيمة عندهم ، ولها سدنة وفيها أصنام من الفيروزج والبيجاذق يعظمونها . وفى المدينة مساجد وبيع وكنائس وبيت النار ، وكفارها لايذبحون الحيوان ولايأكلون اللحم ولا السمك ولا البيض ، وفيهم من يأكل المتردية والنطيحة دون مامات حتف أنفه اخبر بذلك كله مسعر بن مهلهل ، صاحب عجائب البلدان ، وانه كان سياحاً دار البلاد وأخبر بعجائبها . (ص ٩٧)

طيفند

قلعة فى بلاد الهند منيعة ، على قلة جبل ليس لها إلا مصعد واحد ، وعلى رأس الجبل مياه ومزارع وما احتاجوا إليه ، غزاها يمين الدولة محمود بن سبكتكين سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وحاصرها زمانا وضيق على أهلها ، وكان عليها خمسمائة فيل فطلبوا الامان فآمنهم ، وأقر صاحبها فيها على خراج ، فأهدى صاحب القلعة إلى السلطان هدايا كثيرة ، منها طائر على هيئة القمرى ، خاصته إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء وتحجر فاذا تحجر سحق وجعل على الجراحات الواسعة الحمها ، وهذا الطائر لايوجد إلا فى ذلك الموضع ولايتفرج إلا فيه .

(ص ١٠١)

فيصور

بلاد بأرض الهند يجلب منها الكافور الفيصورى وهو أحسن انواعه وذكروا ان الكافور يكثر فى سنة فيها رعود وبروق ورجف وزلازل ، وان قل ذلك كان نقصا فى وجوده . (ص ١٠٣)

http://nidaulhind.blogspot.in

قزدار

ناحية بأرض الهند قال أبوالحسن المتكلم : كنت مجتازا بناحية قزدار ، فدخلت قرية من قراه فرأيت شيخاً خياطاً فى مسجد فأودعت ثيابى عنده ومضيت . ثم رجعت من الغد فرأيت باب المسجد مفتوحا والرزمة يشدها فى المحراب ، فقلت ما أجهل هذا الخياط ! فجلست أفتحها وأرى شيئا فشيئا إذ دخل الخياط ، فقلت له : كيف تركت ثيابى ههنا ؟ فقال : افتقدت منها شيئا ؟ قلت : لا . قال : فما سوالك ؟ فأقبلت أخاصمه وهو يضحك . قال : أنتم نشأتم فى بلاد الظلم ، وتعودتم أخلاق الأراذل التى توجب السرقة والخيانة وانها لاتعرف ههنا ، ولو بقيت ثيابك فى المحراب حتى بليت ما مسها أحد ! وإذا وجدنا شيئا من ذلك فى مدد متطاولة نعلم أنه كان من غريب اجتاز بنا ، فنركب خلفه ولايفوتنا ، فندركه ونقتله . فسألت عن غيره سيرة أهل البلد فقال كما ذكره الخياط . وكانوا لايغلقون الأبواب بالليل ، وما كان لأكثرهم أبواب بل شئ يرد الوحش والكلاب . (ص ١٠٤)

قشمير

ناحية بأرض الهند متأخمة لقوم من الترك ، فاختلط نسل الهند بالترك فأهلها أكثر الناس ملاحة وحسناً . ويضرب بحسن نسائهم المثل لهن قامات تامة وصور مستوية وملاحة كثيرة وشعور طوال غلاظ ، وهذه الناحية تحتوى على نحو ستين ألفا من المدن والضياع ، ولا سبيل إليها إلا من جهة واحدة ، ويغلق على جميعها باب واحد .

وحواليها جبال شواهق لاسبيل للوحش أن يتسلق إليها فضلا عن الانس . وفيها اودية وعرة وأشجار ورياض وأنهار .

http://nidaulhind.blogspot.in

قال مسعر بن مهلهل : شاهدتها وهی فی غایة المنعة . ولاهلها أعیاد فی رؤوس الأهلة وفی نزول النیرین شرقهما . ولهم رصد کبیر فی بیت معمول من الحدید الصینی ، لایعمل فیه الزمان ، ویعظمون الثریا ولایذبحون الحیوان ولایأکلون البیض . (ص ۱۰۴-۱۰۵)

قمار

مدینة مشهورة بأرض الهند . قال ابن الفقیه : أهلها علی خلاف سائر الهنود ولا یبیحون الزنا ویحرمون الخمر ، وملکها یعاقبهم علی شرب الخمر ، فیحمی الحدیدة بالنار وتوضع علی بدن الشارب ولاتترك إلی ان تبرد ، فربما یقضی إلی التلف ! وینسب الیها العود القماری وهو أحسن انواع العود . (ص ۱۰۵)

کلبا

مدینة بأرض الهند ؛ قال فی تحفة الغرائب : بها عمود من الناس وعلی رأس العمود تمثال بطة من الناس ، وبین یدی العمود عین . فاذا کان یوم عاشوراء فی کل سنة ینشر البط جناحیه ویدخل منقاره العین ویعب ماءها فیخرج من العمود ماء کثیر یکفی لأهل المدینة سنتهم ، والفاضل یجری فی مزارعهم . (ص ۱۰۵)

کله

مدینة عظیمة منیعة عالیة السور فی بلاد الهند کثیرة البساتین ، بها اجتماع البراهمة حکماء الهند ، قال مسعر بن مهلهل : إنها أول بلاد الهند مما یلی الصین ، وإنها منتهی مسیر المراکب إلیها ولا یتهیأ لها أن تجاوزها وإلا غرقت .

http://nidaulhind.blogspot.in

بها قلعة يضرب بها السيوف القلعية وهى الهندية العتيقة، لا تكون فى سائر الدنيا الا فى هذه القلعة، وملكها من قبل ملك الصين، وإليه قبلته وبيت عبادته ورسومه رسوم صاحب الصين، ويعتقدون أن طاعة ملك الصين عليهم مباركة ومخالفته شؤم، وبينه وبين الصين ثلاثمائة فرسخ.
(ص ١٠٥-١٠٦)

كولم

مدينة عظيمة بأرض الهند، قال مسعر بن مهلهل: دخلت كولم وما رأيت بها بيت عبادة ولا صنما وأهلها يختارون ملكا من الصين، إذا مات ملكهم. وليس للهند طبيب الا فى هذه المدينة، عماراتهم عجيبة، اساطين بيوتهم من خرز اصلاب السمك، ولا يأكلون السمك ولا يذبحون الحيوان ويأكلون الميتة، وتعمل بها غضائر تباع فى بلادنا على إنه صينى وليس كذلك لان طين الصين اصلب من طين كولم وأصبر على النار، وغضائر كولم لونها أدكن وغضائر الصين أبيض وغيره من الألوان.

بها منابت الساج المفرط الطول ربما جاوز مائة ذراع وأكثر. وبها البقم والخيزران والقنا بها كثير جداً، وبها الراوند وهو قرع ينبت هناك، ورقه الساذج الهندى العزيز الوجود لأجل أدوية العين، ويحمل إليها اصناف العود والكافور واللبان، والعود يجلب من جزائر خلف خط الاستواء، لم يصل إلى منابته أحد ولا يدرى كيف شجره، وإنما الماء يأتى به إلى جانب الشمال. وبها معدن الكبريت الاصفر ومعدن النحاس ينعقد دخانه توتيا جيداً.
(ص ١٠٦-١٠٧)

http://nidaulhind.blogspot.in

ملتان

هي آخر مدن الهند مما يلي الصين، مدينة عظيمة منيعة حصينة جليلة عند أهل الصين والهند، وإنها بيت حجهم ودار عبادتهم كمكة لنا. وأهلها مسلمون وكفار. والمدينة في دولة المسلمين، وللكفار بها القبة العظمى والمعبد الأكبر، والجامع مصاقب لهذه القبة، والاسلام بها ظاهر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شامل؛ كل ذلك عن مسعربن مهلهل.

وقال الاصطخري. مدينة حصينة منيعة، دار الملك ومجمع العسكر والملك مسلم لايدخل المدينة إلايوم الجمعة، يركب الفيل ويدخل المدينة لصلاة الجمعة.

بها صنم يعظمه الهند ويحج إليه من أقصى بلاد الهند، ويتقرب إليه كل سنة بأموال عظيمة، لينفق على بيت الصنم والمعتكفين منهم. وبيت الصنم قصر مبني في أعمر موضع بين سوق العاجنين وسوق الصفارين، وفي وسط القصر قبة فيها الصنم.

قال مسعربن مهلهل: سمك القبة في الهواء ثلاثمائة ذراع، وطول الصنم عشرون ذراعاً، وحول القبة بيوت يسكنها خدم الصنم والعاكفون عليه، وليس في ملتان عباد الصنم إلا في هذا القصر.

وصورة الصنم إنسان جالس مربعا على كرسي، وعيناه جوهرتان، وعلى رأسه إكليل ذهب، ماد ذراعيه على ركبتيه، منهم من يقول من خشب، ومنهم من يقول من غير خشب ألبس بدنه مثل جلد السختيان الأحمر، إلا ان يديه لاتنكشفان وجعل أصابعه من يديه كالقابض أربعة في الحساب، وملك ملتان لايبطل ذلك الصنم لأنه يحمل إليه أموالا

http://nidaulhind.blogspot.in

عظيمة يأخذها الملك . وينفق على سدنة الصنم شيئاً معلوماً . وإذا قصدهم الهند محاربين أخرج المسلمون الصنم ويظهرون كسره أو إحراقه فيرجعون عنهم .

حكى ابن الفقيه أن رجلا من الهند أتى هذا الصنم، وقد اتخذ لرأسه تاجا من القطن ملطخاً بالقطران ولأصابعه كذلك، وأشعل النار فيها، ووقف بين يدى الصنم حتى احترق .

وينسب إليها هارون بن عبد الله مولى الازد، كان شجاعا شاعرا، ولما حارب الهند المسلمين بالفيل لم يقف قدام الفيل شئ، وقد ربطوا فى خرطومه سيفا هدا ما طويلا ثقيلا، يضرب به يمينا وشمالا لا يرفعه فوق رأس الفيالين على ظهره ويضرب فيه، فوثب هارون وثبة أعجله بها عن الضرب ولزق بصدر الفيل، وتعلق بأنيابه، فجال به الفيال جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به. وكان هارون شديد الخلق رابط الجأش فاعتمد فى تلك الحالة على نابيه، واصلهما بجوف، فانقلعا من اصلهما وأدبر الفيل وبقى النابان فى يد هارون، وكان ذلك سبب هزيمة الهند، وغنم المسلمون، فقال هارون فى ذلك :

مشيت إليه رادعاً متمهلا ... وقد وصلوا خرطومه بحسام
فقلت لنفسى إنه الفيل ضاربا ... بأبيض من ماء الحديد هذام
فان تنكائى منه فعذرك واضح ... لدى كل منخوب الفؤاد عبام
ولما رأيت السيف فى رأس هضبة ... كما لاح برق من خلال غمام
فعانقته حتى لزقت بصدره ... فلما هوى لازمت أى لزام
وعدت بنابيه وأدبر هاربا ... وذلك من عادات كل محامى

(ص ١٢١-١٢٣)

http://nidaulhind.blogspot.in

مليبار

ناحية واسعة بأرض الهند تشتمل على مدن كثيرة، بها شجرة الفلفل وهي شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها، وثمرتها عناقيد إذا ارتفعت الشمس واشتد حرها تنضم على عناقيدها أوراقها، وإلا احرقتها الشمس قبل إدراكها، وشجر الفلفل صباح إذا هبت الريح سقطت عناقيدها على وجه الماء، فيجمعها الناس، وكذلك تشنجها ويحمل الفلفل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وأكثر الناس انتفاعا به الفرنج يحملونه فى بحر الشام إلى أقصى المغرب. (ص ١٢٣)

مندورفين

مدينة بأرض الهند، قال مسعر بن مهلهل: بها غياض هى منابت القنا، ومنها يحمل الطباشير، والطباشير رماد هذا القنا، وذلك انها إذا جفت وهبت بها الرياح اهتك بعضها ببعض وأشتدت فيها الحرارة، فانقدحت فيها نار ربما أحرقت مسافة خمسين فرسخا، فرماد هذا القنا هو الطباشير يحمل إلى سائر البلاد. (ص ١٢٤)